الصِّيَام ... وتفاسِيرُ الأحكام

بقلم
عَبْد القُدُّوس الأنصاري

القسم الأوَّل
الصِّيَام

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمامهم سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذه حلقات متتابعة من أحاديث الصيام ، ألقيت بإذاعة نداء الإسلام بمكة المكرمة طيلة شهر رمضان المبارك عام ١٣٩١ هجرية . ولقد بقيت هذه الحلقات كما هي في قطرها حتى رؤى من الخير أن تظهر في أثر مجموع مطبوع ، لما تشتمل عليه من الفوائد الدينية والتاريخية والاجتماعية والفكرية ، وهاهي بين يدى القراء الأفاضل .

نسأل الله عز وجل أن يجعلها رسالة هدى وبركة ، وأن يعم بنفعها الجميع .

المنهج ... بين القلب والعقل

بقلم : الشاعر الرائد محمود عارف

خَطَّ عبد القُدُّوس نَهْجَ السَّلام ... نفثاتٍ من نُورِ وَحْى الصيام
فى كِتَاب أَهْدَاهُ للناسِ رُشْداً ... مُسْتَمَداً من شِرْعَةِ الإِسْلَام
كلّ بابٍ وكلّ فَصْـلٍ جَنَاهُ ... من قُطُوفٍ شَهِيَّـة الالْتِهَام
وقُطُوفِ التَّشْرِيع أنمـاط نَهْج ... مِنْ أُصُولٍ ، قَوِيَّة الأَحْكَام
كلّ مَنْ شَقَّ للشَّرِيعَة دَرْباً ... تنحذ الدَّرْبَ مَسْلَكاً للأَمَام
ودُرُوبِ الأَيمانِ يَسْلكها المسْـ ... ـلِمْ تعطى وَشِيجَـة الالْتِحَام
إِنَّمَا المـؤْمِنون إِخْوة نَهْجٍ ... سَالم من شَوَائِبِ الأَصْـنَام
كلَّ نَهْجٍ بِـلَا أَسَاسٍ ضَعِيفٍ ... يتهَاوَى فى حَالَةِ الارْتِـطَام

مُقدمة

إِنَّ نَهْجَ الإِسْـلَام قَلْبٌ وعَقلٌ ... وكِلَا اثنَيْهما مَنَـار اَحْتِكَام
لا يَسُودُ الإِسْلَام من غَيْرِ قَلْبٍ ... مُسْلِمٍ ، لا يَدِينُ بالأَوهـام
لا يَسُودُ الإِسْلام من غَيْرِ عَقلٍ ... ثابِتٍ لا يمـت للأَحـلام
كانَ عبد القُدُّوس فِينَا رَشِيداً ... حِينَ أَهْدَى مِشْكَاتَهُ للأَنَام
وَضَعَ الحقَّ فى مَوازِينَ صِدْقٍ ... ربَّ صِـدْقٍ مَطِيَّـةَ الأَقْلَام
كلَّ ماشَعَّ فى الصَّوَى نُور رُشْدٍ ... هو نَهْجُ الإِسْلام نَبْعُ الْوِئام
بَلَغَ المسلِمُونَ أوج المعـالى ... بأُصُـولِ التَّشْرِيع لا بالْكَلَام
وهـو الله أَوَّلاً وأَخِـيراً ... عبر خمس . مُضِيئَةٍ بالصِّيام

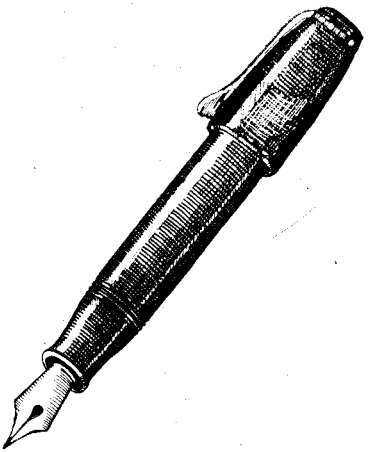

أهلاً بك يا شهر رمضان

إن بركتك - يا شهر رمضان - بركة شاملة ونامية مستفيضة : تشمل فى إطارها النورانى ، الجسوم والأرواح والأفكار .

فيك أنزل القرآن المجيد لهدى ورحمة .. ويصومك المسلمون فى سائر أنحاء المعمورة .. شهرًا كاملًا ، بين اثنى عشر شهرًا التى هى كامل السنة ..

وإذا صاموك ، زكت آراؤهم ، وقويت عزائمهم على فعل الخير ، فسهل عليهم إسداء المعروف ، وإغاثة الملهوف .

فى أيامك الحلوة المشرقة ، ولياليك الزاهرة الباسمة ، تتآلف النفوس المتنافرة ، وتبعد عن لوثة الحيوانية ، بعامل صيامك الذى به تتقرب إلى ربها الكريم ، بطاعته ، فى صيامك وقيامك .. والصيام طاعة جليلة وجميلة وخالصة بين العبد وربه : (الصيام لى وأنا أجزى به) .

وفيك يا شهر رمضان ، تصفد الشياطين ، فتظلم أسراب النفوس المتحررة من أسر الشهوات إلى رياض الإصلاح والاستقامة والسمو والإشراق .

وصيامك القويم لهو أن يصوم المؤمن بياض نهارك ، متعبدًا بتلاوة الذكر الحكيم ، وبمذاكرة العلم ، وبأداء واجباته الدينية والاجتماعية والإنسانية فى إخلاص عميق .

فإذا أقبل ليلك عليه .. أفطر إفطارًا خفيفًا هينًا ، لا يجشم جهازه الهضمي عناءًا ، ولا يثقل جسمه ، ولا يعوقه عن النشاط الحميد في عبادة ، وفي صلاة ، وفي قيام ليل .

وإذا حان وقت سحوره تسحر كذلك سحورًا خفيفًا لطيفًا يقيم أوده ، ولا يكرب معدته طيلة النهار ..

هذا من الناحية الخاصة لصائمك يا شهر الصيام .. أما من الناحية العامة بالنسبة للصائم .. فإن عليه يا شهر الصيام أن يصوم عن الخنا ، وأن يصوم عن المعاصي ، ما ظهر منها وما بطن ، وعليه أن يصوم عن الحقد والبغضاء ، فتكون نفسه سمحة لطيفة شفيفة وتنبض بالشفقة والحنان والمحبة والصفاء والوفاء وسائر الأخلاق الكريمة .

وتقدم علينا يا شهر رمضان ، قدوم الخير والبركات ، في مستهل فصل الشتاء .. والشتاء ربيع المؤمن ، كما ورد في حديث نبوي كريم .. فقد قصر نهاره فصامه براحة وهناء ، وطال ليله فقامه براحة وهناء .. هو في النهار لا يرهقه أثناء صومه حر ولا سموم .. وفي الليل لا يعوقه قيامه له كذلك حر ولا سموم .

وفي صيامك يا شهر الصيام ، بهذا المعنى الإسلامي النبيل ، رياضة روحية وجسمية مزدوجة ذات أثر فعال في رفع مستوى المسلم مادة ومعنى .. وروحًا ومبنى .

فأهلاً بك يا شهر الصيام، من شهر كريم .

إن صيامك يا شهر الصيام، لهو ركن رابع من أركان الإسلام التي ينبني عليها صرحه الشامخ العظيم.

والبيت لا ينبني إلا على عمد ∴ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وأوتاد عمادك نظافة الجيب ونظافة القلب معًا ..

وأنت يا رمضان بلياليك الغر، وبأيامك الزهر، عماد متين وعال من أعمدة الدين الإسلامي الحنيف.

* * * *

وفقه الله مسلمي العالم لصيامك وقيامك، وأعادك إليهم، وأعادهم إليك بالخير والبركات في عزة قعساء، ومجد أثيل، وسعادة وارفة الظلال .. وأسبغ عليهم نعمة التوأم والتضام والتوازر في سبيل الله تعالى، قولاً وعملاً، حتى يستعيدوا بأقرب فرصة " حرمنا الثالث "، .. و"أولى القبلتين" (بيت المقدس) من أيدي الصهاينة، ويستعيدوا معه سائر أجزاء فلسطين، مع كل ما احتله لهؤلاء البغاة الأثمة من بلاد العرب والمسلمين .. وحتى يستعيد المسلمون أيضا جميع ما تبقى بين براثن الاستعمار من بلادهم العزيزة في شرقه وفي غربه، وفي شمال وجنوب .

عبد القدوس الأنصاري

باقة شعرية

تَبَـدَّيْتَ للنَّفْـسِ لُقْمانَهَا ... لـذاكَ تَبُثُّـكَ وِجْـدَانَهَـا

وتَنْثُر بين يَدَيْكَ الـزُّهُـورَ ... تُحَيِّيـك إذْ كُنْـتَ رَيْحَانها

إذا لُحْتَ هَـبَّ نَسِيمُ السماء ... فأَنْشَر فى النَّفْسِ إيمـانهـا

فلا غَـرْوَ إنْ عَظَّمَتْك النفوسُ ... وإنْ رَتَّلَـتْ لك أَلْحَانَهـا

ولا غَرْوَ إنْ قابَلَتْكَ بِشَوْقٍ ... وإنْ نَظَمـتْ لك تَحْنَانَهـا

فأَنْتَ ربيـعُ الحيـاةِ البهيج ... تُنْضِرُ بالصَّفْـوِ أوطانهـا

وتُسْعِـدُ بالـذِّكْر سُكَّانهـا ... وتُنْعِشُ بالفِـكْر قطَّانهـا

وأَنْـتَ بَشِيرُ القـلوبِ الذى ... يَعْرِفُهَـا « الله » رَحْمانَهـا

وأَنْتَ (الطبيبُ) الحكِيم الذى ... يُعـالِجُ بالصَّـوْمِ أَحْـزَانَها

وأَنْتَ (المرَبِّى) القدير الذى ... يُشَذِّب بالْجُـوع طُغْيَانها

أَلَيْسَ الطَّعَام يطغى النُّفُوس ... وأَنْتَ إذا جِئْتَ مِيزانهـا

وإنَّ الشُّهور (عُيون) الزمان ... وكُنْتَ بِوَحْيك (إنسانها)

فأَهْلاً وسَهْلاً بشَهر الصِّيـام ... يسلّ من النَّفْس أَضغانهـا

وأَهْلاً وسَهْلاً بشَهْر الصِّيـام ... يُنَـقِّى عن النَّفْس أَدْرَانهـا

وأهْلاً وسَهْلاً بشَهْرِ الصِّيـــام يُشَعْشِع فى الرُّوح عِرْفانهـا

• • •

لَكَ اللهُ من ميزةٍ حُـزْتَهـا وقِدْماً تَقَلَّدْتَ عِقْيـانهـا
أَلَمْ يُنْزِل اللهُ فيـكَ القُرْآن نِظَامَ الْعِبَـادِ وفُرْقَانَهـا
بِكَ اللهُ يعتـقُ جَمَّ الـرِّقَاب ويُلْبِسها بِكَ ما زَانهـا
وفيـكَ ببـدرٍ تَسَامى الْهُدَى وَسِيمَ « الصَّنادِيد » قُلْبَانهـا

• • •

ولا بَأْس يا « طِبُّ » أرواحنـا إذا ما بَثَثْنَاكَ أَشْجَـانهـا
بَنُو الغرب قد أَوْغَلُوا فى السُّرَى ونالُـوا السَّماء وأعنانهـا
وإنَّا نَرَى الشَّرْقَ فى نَهْضَـةٍ ولـكن تَفَرُّقهم شَانهـا
فَوَحِّـدْ بِيُمْنِكَ أَشْتَـاتَهـا وحَنْحِثْ بِصَـوْتِكَ رُكْبانها
وحُطْ بِهِلَالِكَ إقْبَالهـــا وكَلِّلْ بِغَارِكَ تِيجَانهـــا

• • •

وأمَّا ذَوُوكَ فَنَهْضَتُـــهم سُرِرْنَا بِأَنْ أَصْلَحَت شَانهـا
ولـكن عِـدَاهـا تَقَاعسهم وأَذْبَـل ذَلِكَ أَغْصَـانهـا
فأَنْعِشْ بِبَـدْرِكَ ذَاوِيهـا وَرُدْ بِنَسِيمِكَ وُدْيانهـا
وأَرْشِـدْ بنَجْمِكَ رُوَّادَهـا وَجَدِّدْ بِشَمْسِكَ ريعـانهـا

عبد القدوس الأنصارى

الفصل الأول

الصيام في اللغة والدين

- المعنى اللغوي لرمضان
- الصوم في اللغة وفي دين الإسلام
- كيف ومتى فرض الصيام ؟

oooo

المعنى اللغوى لرمضان

رمضان هو الاسم الإسلامى للشهر التاسع من شهور السنة الهجرية القمرية التى تبتدئ بالمحرم وتنتهى بذى الحجة ...

يقول ابن منظور الأنصارى فى موسوعته (لسان العرب) فى شرح معنى رمضان وفى تحليل أصل التسمية به : الرمض هو حر الحجارة من شدة حر الشمس ، ثم قال : ورمضان من أسماء الشهور معروف . وتدلنا أقوال كثير من العلماء الدينيين واللغويين الأثبات على أن صفة رمضان مشتقة من الرمض المذكور آنفاً ، وعلى أنها ليست من أسماء الله تعالى ، كما ورد فى قول ضعيف ، واستدلوا على هذا بما ورد فى الحديث من تجريد رمضان من إضافة كلمة (شهر) إليه .. فقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : (لا نعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ بالقرآن كله فى ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملا غير رمضان) . ومن الدلائل أيضاً ذلك الشاهد من الشعر العربى الذى أورده صاحب لسان العرب وهو قول الشاعر :

جارية فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماضى

ويجمع رمضان على رمضانات ، وهذا الجمع هو الذى لا يزال يستعمله العوام لدينا حتى اليوم .. كما يجمع على رماضين ، وأرمضاء وأرمضة .

والعلاقة بين اسم رمضان ومعنى الرمض الذى هو حر الحجارة من شدة حر الشمس هى أن الصائم يحتر جوفه من شدة العطش كما تحتر الحجارة من شدة وقع الشمس عليها .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى قال بعض اللغويين أن العلاقة بين الاسم والمسمى به ناشئة فى الأصل عن أنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية القديمة سموها بالأزمنة التى هى فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته ، فسمى باسم رمضان من هذا الواقع الملموس حينذاك . وإذا صح هذا التعليل أو التأويل فمعنى ذلك أن نقل أسماء هذه الشهور من اللغة العربية القديمة إلى هذه التسميات قد تم قبل الإسلام بزمن ما ، وذلك لأن شهر رمضان كان أول فرضية صومه فى الإسلام وكان أول صومه فيه فى غير أوان شدة الحر فى هذه البلاد المقدسة كما حققه علماء الفلك وقرروه فى كتبهم .

الصوم فى اللغة وفى دين الإسلام

ربما لاتخلو مثل هذه التعريفات التى تحدد أهداف معانى الأشياء الحيوية فى ديننا من توسعة الثقافة الخاصة والثقافة العامة .

فالصوم لغة هو الإمساك عن الشيء والترك له . وفى المعنى الأساسى للصوم وما اشتق منه من أفعال وأسماء يقول نابغة بنى ذبيان يصف خيلا تتراكض فى إحدى معاركهم القبلية الضارية ..

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ومن هـذا المعنى الأساسى للصوم اشتق أيضاً معنى الإمساك عن الكلام وسمى لغة (صوماً) قال الله تعالى فى كتابه الحكيم فى المقالة المأمورة بها مريم عليها السلام : (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وقولها : (فلن أكلم اليوم إنسياً) هو تفسير وشرح بيان لقولها قبله : (صوماً) فهى تعنى أنها لن تكلم ذلك اليوم إنسياً أياً كان بأى كلام ..

ومن معنى ترك الشيء والإمساك عنه اشتق معنى (الصوم) الإسلامى الذى نحن فيه اليوم ، ألا وهو ترك الطعام والشراب من الفجر إلى غروب الشمس للبالغ العاقل غير المسافر وغير المريض ، ولغير النفساء والحائض من النساء .

وربما تكون حكمة مشروعية صوم رمضان كله ، وجعل هذا الصوم الركن الرابع من أركان هذا الدين الإسلامى الحنيف ، إن فى الصوم إلجاماً للنفس عن التردى المستمر طيلة شهور السنة فى مهاوى الهوى والعواطف الشهوانية التى يتردى فيها الإنسان دائماً لأنه من جنس الحيوان .. فيرتفع مستواه أو يرفع مستواه عن مكان الانحطاط الحيوانى الغريزى إلى قمم السمو

الروحانى ، فتشرق روحه وتسبح فى عوالم الفتوحات الإلهية العلوية ، ويتشبه أو يشبه بهذا الأمر ملائكة الرحمن ، الذين هم منزهون عن الشهوات الدنيئة ومترفعون عن أسبابها من طعام وشراب وما أشبه ، وذلك طيلة شهر واحد من سائر شهور السنة .. ويتكرر ذلك منه كلما أطل وأهل عليه هذا الشهر المبارك الميمون .

ويدلنا نص الآية الكريمة التى نزلت فيها حتمية صيام المسلم لشهر رمضان وهى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) تدلنا هذه الآية الكريمة على أمرين ، أحدهما : إن صيامنا ليس بدعة فى أجيال البشرية ، بل هو سنن قديم شرعه الله للأمم التى خلت من قبلنا ، مثل ما شرعه لنا من بعدهم . وثانية الدلالتين إن سبب فرضه علينا يعود إلى توجيه الرب لنا لمصلحتنا نحن فقط إلى أن نحذر اقتراف المعاصى طيلة هذا الشهر ، منسحباً ذلك الحذر أيضاً على ما يتلوه من أشهر إلى أن يعود قدومه إلينا من عام قابل .. وفى ذلك رفع لمستوى نفسياتنا ومعنوياتنا ، وتجنيب لنا عن أسباب الانحطاط والخذلان ، وتبعيد لنا عن الطرق التى تؤدى بسالكها إلى النار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

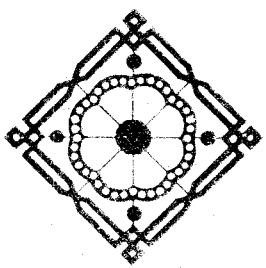

كيف ومتى فرض الصيام ؟

كتب الله على المسلمين أن يصوموا هذا الشهر المبارك بتمامه . من أوله إلى آخره ، فى السنة الثانية للهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المشرفة . وكانت فريضته بنزول هذه الآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . ومعنى (كُتبَ) فى فى الآية : (فُرِضَ) .

وكانت فرضيته فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة .

وقد رووا أن النبى صلوات الله وسلامه عليه بعد نزول فرضية الصيام عليه خرج إلى مسجده الشريف بالمدينة وبشر المسلمين بما نزل عليه من فريضة الصيام ، وبشرهم بمزاياه وفضائله ، ووصفه لهم بأنه شهر خير وبركة فقال لهم فى بيان رائع ساطع : « أتاكم شهر رمضان ، شهر خير وبركة .. يغشاكم الله فينزل فيه الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، فأروا الله فيكم من أنفسكم خيراً ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

وبالمزايا الجليلة ، والفضائل الجزيلة التى استوعبها هذا الشهر ، مما بينه النبى المصطفى فى أحاديثه الشريفة ، ومما نزل به عليه القرآن من رب العالمين ، ارتفعت مكانة شهر رمضان بين شهور السنة فصار سيدها وأفضلها . ومن تلك المزايا الخالدة ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أن جميع الكتب السماوية نزلت فيه على الأنبياء والمرسلين .. فقد روى عن ابن عباس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمانى عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

ولهذه المزايا المتجمعة فيه خصه الله بالصوم ، ليكون فى ذلك حمد الله وشكره على إحسانه به على المسلمين ، وخاصة نزول القرآن المجيد فيه .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف المسلمين بقدر رمضان ، فكان من خطبه فى الإبانة عن مكانته خطبته فى الناس فى آخر يوم من شعبان حيث يقول : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه رزق المؤمنين : من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء ». فقال الناس: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . فأجابهم الرسول : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن » . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .